الفصل التاسع والعشرون

أمهات المؤمنين:

تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة[1]، دخل بثلاث عشرة منهن، واجتمع عنده منهن إحدى عشرة، وقبض عن تسع[2]، فأما اثنتان منهن فأفسدتهما النساء فطلقهما، وذاك أن النساء قلن لإحداهما: إذا دنا منك فتمنعي، فتمنعت فطلقها، وأما الأخرى فلما مات إبراهيم قالت: لو كان نبيا ما مات ابنه، فطلقها، منهن خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم سَلَمة وسَوْدَة وأم حبيبة، ومن غير قريش: ميمونة الهلالية، وجُويرية الخزاعية، وزينب بنت جحش الأسدية وصفية الخيبرية. وهؤلاء التسع هن اللاتي قبض عنهن[3]. وقد سبق الكلام عن زواجه من خديجة (رضي الله عنها)، وسأتناول هنا بايجاز قصة زواجه من الثماني الباقيات، ومن تسرى بهن.

٢ ـ سودة بنت زمعة بن قيس:

كانت من المؤمنات المهاجرات في سبيل الله. فقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها السَّكْرَان بن عمرو، ابن عم أبيها، فأغضب ذلك أهلها. وعندما عادت مع زوجها من هجرتها توفي زوجها السكران، وقيل توفي عنها في

---

(١) البيهقي: دلائل النبوة (٧/ ٢٨٨) من مرسل قتادة.

(٢) أبوعبيدة بن المثنى: تسمية أزواج النبي ﷺ، ص ٧٧، ابن حبيب: المحبر، ص ٩٨. وانظر تفاصيل أخبار من تزوج رسول الله ﷺ من النساء فلم يجمعهن ومن فارق منهن وسبب مفارقته إياهن، وذلك عند ابن سعد (٨/ ١٤١ ـ ١٥٠) وانظر تفاصيل من خطب النبي ﷺ من النساء فلم يتم نكاحه ومن وهبت نفسها من النساء لرسول الله ﷺ عند ابن سعد (٨/ ١٥٠ ـ ١٦١).

(٣) البيهقي: دلائل النبوة (٧/ ٢٨٩).

الحبشة[٤]. وتركها من غير عائل، فخشي الرسول ﷺ أن يبطش بها قومها، وكانوا أشداء وأعداء ألداء للإسلام، وأراد أن يجزيها على إسلامها ومصابها خيرا، فلم يجد غير أن يتزوجها في رمضان سنة عشر من النبوة[٥]، بعد وفاة خديجة (رضي الله عنها) بلا خلاف والراجح زواجه بها في شوال بعد عائشة[*].

وعندما طعنت في السن خشيت أن يطلقها الرسول ﷺ وحرصت على أن تحشر في أزواجه، ولذا وهبت ليلتها لعائشة[٦] (رضي الله عنها). وروي أن الآية الكريمة ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير﴾[٧] نزلت في هذا السبب[٨].

وكانت بدينة الجسم ثقيلة الحركة، قالت ذات يوم للرسول ﷺ: «صليت خلفك البارحة فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم»، فضحك رسول الله ﷺ من قولها[٩]. ولثقلها وكبرها أذن لها الرسول ﷺ ولمن في حالها أن يدفعوا ليلة مزدلفة قبل الناس[١٠].

٣ ـ عائشة بنت أبي بكر:

كانت لأبي بكر (رضي الله عنه) مكانة عظيمة في قلب النبي ﷺ لما كان له من مواقف في سبيل الله في أدق اللحظات وأحرجها من مسيرة الدعوة، فلعل الرسول ﷺ أراد أن يكرم صاحبه الوفي الأمين، ويوثق عرى المحبة بينه

---

(٤) وردت روايتان في مكان موت السكران بن عمرو، الأولى أنه مات بالحبشة والثانية أنه مات بعد عودته من الحبشة إلى مكة. وقد حكاهما ابن عبدالبر في الاستيعاب (٢/ ١٢٥) ـ ترجمة السكران، وعلى القول الأول موسى بن عقبة وأبو معشر، وعلى القول الثاني: ابن إسحاق: السير والمغازي، ص ٢٥٤ ـ ابن هشام (٢/ ٩) والواقدي فيما حكاه عنه ابن سعد (٨/ ٥٣) قال ابن حجر في الإصابة (٢/ ٥٩): «وزعم أبوعبيدة في كتابه «تسمية أزواج النبي ﷺ» أنه رجع إلى الحبشة فتنصر بها ومات. وقال البلاذري: «الأول أصح»، يعني موته مسلما بمكة.

(٥) ابن سعد (٨/ ٥٢ ـ ٥٣) من طريق الواقدي. (*) كما حققه ابن كثير في البداية (٣/ ١٤٩).

(٦) البخاري/ الفتح (١٩/ ٢٧٣/ح ٥٢١٢)، مسلم (٢/ ١٠٨٥/ح ١٤٦٣)، أبوداود (٢/ ٦٠٢/ ك. النكاح/ح ٢١٣٥)، أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٠٨) و(١٦/ ٢٣٩): صحيح ابن ماجه (١/ ٣٣٤/ح ١٩٧٢) وقال: «صحيح».

(٧) النساء: ١٢٨.

(٨) انظر الطبري: التفسير (٩/ ٢٧٦ ـ ٢٧٨) بإسناد صحيح، أبوداود (٢/ ٦٠٢/ ك. النكاح/ح ١٢٣٥) الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ك. التفسير/ح ٢٤٣٤) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني أيضا، وانظر البيهقي: دلائل النبوة (٣/ ٢٩٧).

(٩) ابن سعد (٨/ ٥٤) ورجاله رجال الصحيح، ولكنه مرسل. انظر ترجمتها في الإصابة (٤/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩).

(١٠) البخاري/ الفتح (٨/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦/ح ١٦٨٠ ـ ١٦٨١).

وبين أخيه في الإسلام أبي بكر، وذلك برباط المصاهرة، فتزوج من ابنته عائشة.

وكانت عائشة (رضي الله عنها) صغيرة السن عندما عقد عليها الرسول ﷺ، في شوال من السنة العاشرة للبعثة النبوية، ولم يدخل بها إلا في شوال من السنة الثانية للهجرة[11].

قالت عائشة (رضي الله عنها): «تزوجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة، قبل الهجرة وأنا بنت ست، وأدخلت عليه وأنا ابنة تسع سنين...»[12] وفي رواية أنه تزوجها وهي ابنة سبع[13].

ولقد رأى رسول الله ﷺ في المنام ـ ورؤيا الأنبياء حق ـ أن رجلا يحملها إليه في قطعة من جيد الحرير، فيقول: «هذه امرأتك، فيكشف فيراها، فيقول: إن كان هذا من عند الله يمضه»[14].

ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرا غيرها[15].

ومن يقف على سيرة هذه السيدة العظمى تأخذه الدهشة لذكائها وفطنتها وغزارة علمها وفقهها وسمو أخلاقها، وسيعلم حينها، لماذا كانت بتلك المكانة الكبيرة عند رسول الله ﷺ[16].

٤ ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب:

لقد توفي عنها زوجها خُنَيس بن حُذَافَة السَّهمي المهاجري البدري، صاحب الهجرتين ـ الحبشة والمدينة[17] ـ، إذ أصابته جراحة يوم أحد، فمات

---

(١١) ابن سعد (٨/ ٥٨ ـ ٥٩)بأسانيد من طريق الواقدي، وزواجه وبناؤه بها في شوال ثابت في الصحيح: مسلم (٢/ ١٠٣٩/ح ١٤٢٣).

(١٢) البخاري/ الفتح (١٩/ ٢٢٨/ح ٥١٣٣)، مسلم (٢/ ١٠٣٨ ـ ١٠٣٩/ح ١٤٢٢)، وغيرهما مسلم (٢/ ١٠٣٩/ح ١٤٢٢). وأكثر الروايات: ست سنين، ويجمع بينهما بأنه كان لها ست وكسر، فمنهم من يجبره ومنهم من يحذفه: انظر الساعاتي: الفتح الرباني (٢٢/ ١٠٩).

(١٣) مسلم (٢/ ١٠٣٩/ح ١٤٢٢) وأكثر الروايات: ست سنين، ويجمع بينهما بأنه كان لها ست وكسر، فمنهم من يجبر الكسر ومنهم من يحذفه: انظر: الساعاتي: الفتح الرباني (٢٢/ ١٠٩).

(١٤) البخاري/ الفتح (١٩/ ١٤٦/ح ٥٠٧٨)، مسلم (٤/ ١٨٨٩ ـ ١٨٩٠/ح ٢٤٣٩٨).

(١٥) البخاري/ الفتح (١٩/ ١٤٥/ح ٥٠٧٧، وحديث ترجمة الباب)، انفرد به البخاري.

(١٦) انظر ترجمتها في الإصابة، وأبواب المناقب من كتب الحديث وما جمعه الساعاتي من أحاديث المسند: الفتح الرباني (٢٢/ ١٠٩ ـ ١٢٨)، والأحاديث المتفرقة في كتب الأحاديث الأخرى. وهو من أهم مصادر المعرفة بحياة عائشة (رضي الله عنها).

(١٧) البخاري/ الفتح (١٩/ ٢١١/ح ٥١٢٢) الإصابة (١/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧).

منها[18]. وروي أنه توفي بعد بدر[19].

وتزوجها رسول الله ﷺ للحكمة ذاتها التي تزوج من أجلها عائشة وسودة (رضي الله عنهما)، إضافة إلى حزنها الشديد على زوجها المجاهد، وحزن عمر لحزنها، فعرض زواجها على حبيبيه أبي بكر وعثمان، لعل في الاقتران بهما مواساة لها وإخراجها من أحزانها. فاعتذر عثمان بحجة عدم حاجته في النساء، وسكت أبوبكر، ولذا وجد عمر في نفسه عليه أكثر مما وجد على عثمان. وما لبث ليالي حتى خطبها رسول الله ﷺ، ولقيه أبوبكر وأوضح له سبب سكوته، وهو أن الرسول ﷺ كان قد ذكرها، فكره إفشاء سر رسول الله ﷺ وقال: «لو تركها رسول الله ﷺ قبلتها»[20]. وفي هذا دليل على أن الرسول ﷺ كان يشعر بما تعانيه حفصه من تأيم، فأراد أن يواسيها، ويواسي أباها لمكانته عنده.

وروي أن الرسول ﷺ طلقها ثم راجعها[21]. ودخل عليها عمر وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك؟ لعل رسول الله ﷺ طلقك؟ إن النبي ﷺ طلقك وراجعك من أجلي، والله لئن كان طلقك مرة أخرى لاكلمتك كلمة أبدا»[22].

وعندما طلقها الرسول ﷺ أتاه جبريل عليه السلام فقال له: «راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة[23].

وفي هذه الأحاديث ما يكفي للدلالة على حكمة زواج الرسول ﷺ من حفصة.

---

(١٨) ابن حجر: الإصابة (١/ ٤٥٦)، ابن عبدالبر: الاستيعاب (١/ ٤٣٨).

(١٩) ابن سعد (٨/ ٨١ - ٨٢) من طريق الواقدي، وقد جزم بذلك.

(٢٠) البخاري/ الفتح (١٩/ ٢١١ - ٢١٣/ ح ١٥٢٢). أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٣٠)، وإسناده صحيح.

(٢١) أبوداود: السنن (٢/ ٧١٢/ ل. الطلاق/ ب. في المراجعة/ ح ٢٢٨٣) بإسناد صحيح، ابن ماجه: السنن (١/ ٦٥٠/ ك. الطلاق/ ح ٢٠١٦) والدارمي (٢/ ١٦١ ك. الطلاق ب. في المراجعة)، النسائي: السنن (٦/ ٢١٣/ ك. الطلاق/ ب. الرجعة).

(٢٢) ذكره الساعاتي في الفتح الرباني (٢٢/ ١٣٠ - ١٣١)، وقال: «قال الهيثمي في المجمع (٤/ ٣٣٣) ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» ورواه ابن إسحاق: السير والمغازي، ص ٢٥٧، بإسناد حسن، وابن حبان في صحيحه برقم ١٣٢٥ بإسناد صحيح كما قال الألباني في إرواء الغليل (٧/ ١٥٨).

(٢٣) ذكره الساعاتي في الفتح الرباني (٢٢/ ١٣١) وقال: «قال الهيثمي: ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

٥ ـ زينب بنت خُزَيمة الهِلالية:

كانت زوجة للطفيل بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبد مناف، فطلقها[٢٤]، وقيل كانت عند جَهم بن عمرو بن الحارث[٢٥]، فتزوجها بعده عُبيدة بن الحارث، فقتل ببدر شهيدا[٢٦]، وقيل كانت تحت عبدالله بن جحش، وقتل عنها يوم أحد شهيدا[٢٧]، وكانت تدعى أم المساكين في الجاهلية لرحمتها إياهم ورقتها عليهم[٢٨]. فقد روى الزبير بن بكار[٢٩] أن الرسول ﷺ عندما تزوجها أَوْلَمَ عليها جزورا، فكثر المساكين، فتركهم الناس والطعام..

وهي أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث (رضي الله عنها) لأمها[٣٠]، هند بنت عوف بن الحارث بن حماطة الحميرية[٣١].

إن امرأة تعاقب عليها هذا العدد من الأزواج منهم شهيدان، وما عرف عنها من الصلاح والرأفة على المساكين، لجديرة بأن تحظى بعطف الرسول ﷺ وتقديره لظروفها، ولم يكن هناك أفضل من تكريمه لها بالزواج منها، فتزوجها الرسول ﷺ في رمضان، على رأس واحد وثلاثين شهرا من الهجرة، فمكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت في آخر شهر ربيع الأول على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة[٣٢]. ولم يمت من أزواجه في حياته ﷺ غيرها وغير خديجة بنت خويلد.

وقيل إن عمرها كان نحو ثلاثين عاما عندما توفيت[٣٣]، ويستبعد ذلك،

---

(٢٤) ابن سعد (٨/ ١١٥) من طريق الواقدي، وابن بكار، ص٤٩، بإسناد ضعيف، وذكره ابن حجر: الإصابة (٤/ ٣١٥) بصيغة التمريض «قيل...» وهي ضعيفة

(٢٥) ابن إسحاق، معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٣٩١). والمعلق من أقسام الضعيف كما تعلم.

(٢٦) ابن سعد (٨/ ١١٥) من طريق الواقدي.

(٢٧) ابن عبدالبر: الاستيعاب (٤/ ٣١٣) معلقا، ولم يعزه لأحد، ابن حجر: الإصابة (٤/ ٣١٥) معلقا، وقد جزم به.

(٢٨) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٣٩١)، ابن سعد (٨/ ١١٥) من طريق الواقدي.

(٢٩) المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، ص ٤٨، وإسناده ضعيف.

(٣٠) ابن عبدالبر: الاستيعاب (٤/ ٣١٣)، ابن حجر: الإصابة (٤/ ٣١٥).

(٣١) ابن حبيب: المحبر، ص ١٠٥ ـ ١٠٩.

(٣٢) ابن سعد (٨/ ١١٥) من طريق الواقدي.

(٣٣) ابن سعد (٨/ ١١٦) من طريق الواقدي.

لأن امرأة كانت تدعى في الجاهلية بأم المساكين، ثم عاشت في الإسلام خمس عشرة سنة، لابد أن يكون عمرها عندما ماتت أكثر من ذلك بكثير. وقد ذكر الصواف[٣٤] أنها بلغت الستين من العمر عندما تزوج بها النبي ﷺ، ولكنه لم يبين لنا مصدره، ولو ثبت ذلك لكان هو الأقرب إلى الصواب، والله أعلم.

ولم تهتم المصادر بسيرتها في بيت الرسول ﷺ لا سيما علاقاتها بزوجاته: سودة وعائشة وحفصة، مما يدل على أنه لم يكن بها ما يدعو لغيرة النساء عليها، فلم يأبه بها أحد، ولم تأبه بأحد، ولعل قصر مدة إقامتها في بيت النبوة كان سببا في ذلك.

٦ ـ أم سلمة ـ هند بنت أبي أمية ـ المخزومية:

لقد حفظ التاريخ لهذه السيدة ذكرا مجيدا، إذ كانت من شهيرات المؤمنات، العاملات وراء صفوف المجاهدين في غزوة أحد، كما ذكرنا، وكان لها رأى سديد كما ذكرنا في قصتها مع النبي ﷺ يوم الحديبية. ومن أبرز مجاهداتها أنها هاجرت إلى الحبشة مع زوجها أبي سلمة، عبدالله بن عبدالأسد، ابن عمة النبي ﷺ وأخيه من الرضاعة.

وكان لزوجها بلاء حسن يوم أحد، حتى جرح جرحا كبيرا، اندمل بعد فترة، ثم عاوده واشتد عليه ألمه، وكان سببا في وفاته كما ذكرنا.

لقد مات (رضي الله عنه) وخلف وراءه أربعة من الأولاد، هم: زينب وسلمة وعمر ودرة[٣٥]. وقد حرص الرسول ﷺ على مواساتها عمليا بأن يكرمها بضمها إلى نسائه والقيام بأمرها، لأنها من المهاجرات، ولم يكن لها أهل بالمدينة، غير أبنائها.

و روي عنها أنها قالت: «أتاني أبوسلمة يوما من عند رسول الله ﷺ قولا فسررت به، قال: «لا تصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند

---

(٣٤) زوجات النبي ﷺ الطاهرات، ص ٤٩.
(٣٥) ابن سعد (٨/٨٧، ٨٩).

مصيبته ثم يقول: اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا فعل ذلك به، قالت أم سلمة: فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبوسلمة استرجعت وقلت: اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منه، ثم رجعت إلى نفسي، قلت: من أين لي خير من أبي سلمة، فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله ﷺ... وأذنت له... فخطبني إلى نفسي، فلما فرغ من مقالته قلت: يارسول الله ما بي أن لا تكون بك الرغبة في، ولكني امرأة فيَّ غيرة شديدة، فأخاف أن ترى مني شيئا يعذبني الله به، وأنا امرأة دخلت في السن، وأنا ذات عيال، فقال: أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله (عز وجل) منك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي، قالت: فقد سلمت لرسول الله ﷺ، فتزوجها رسول الله ﷺ، فقالت: فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيرا منه رسول الله ﷺ»[٣٦].

وفي رواية انه لما انقضت عدتها من أبي سلمة خطبها أبوبكر فردته، ثم خطبها عمر فردته، فبعث اليها رسول الله ﷺ فقالت: «مرحبا برسول الله ﷺ إني امرأة غيرىٰ، وإني مصبية وليس أحد من أوليائي حاضرا، فبعث اليها رسول الله ﷺ أما قولك إني مصبية فإن الله يكفيك صبيانك، وأما قولك إني غيرىٰ فسأدعو الله ان يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني، فقالت: ياعمر: قم فزوج رسول الله ﷺ[٣٧]... ».

وكان زواج الرسول ﷺ بها في شوال سنة أربع[٣٨].

---

(٣٦) مسلم (٢/ ٦٣٢ - ٦٣٣/ح ٩١٨، ٩١٩)، أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٦٧)، الألباني: صحيح الترمذي (١/ ٢٨٨/ ك. الجنائز/ح ٩٩٠)، الألباني: صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٤٥/ح ١٤٤٧)، ابن سعد (٨/ ٨٩) بإسناد صحيح.

(٣٧) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٦٧ - ٦٨)، وإسناده صحيح، وذكر الساعاتي أن ممن أخرجه: النسائي والترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. قلت: وصحح ابن حجر في الإصابة (٤/ ٤٥٩) إسناد النسائي. وفيه أنها رفضت الزواج من أبي بكر ولم يذكر عمر. ورواه ابن سعد (٨/ ٨٩) بإسناد صحيح، وعمر المذكور في الخبر هو عمر بن الخطاب وليس عمر بن أبي سلمة لأن عمره إذ ذاك كان ثلاث سنين، ووهم من قال إن المعني هنا هو ابنها عمر. قاله ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ١٠٧ - ١٠٨)، وقال ابن كثير في البداية (٤/ ١٠٣) إنه عمر آخر غير ابنها.

(٣٨) ابن سعد (٨/ ٨٧) من طريق الواقدي.

٧ ـ جويرية بنت الحارث:

لقد سبق الكلام عن قصة زواجها في غزوة بني المصطلق.

أراد الرسول ﷺ إكرام هذا الصنف من النساء الأسيرات، فسوى بينهن وبين الحرائر، وضرب للناس أصدق الأمثال على سماحة الإسلام. فأزال من الأذهان ما كان قد علق بها من احتقار للإماء، واتخاذهن فقط للبيع أو للخدمة، وحرمن من نعمة العتق إلا بالمكاتبة وشراء أنفسهن من مالكهن. فتعلم المسلمون من هذه الزيجة كيفية صيانة سيدات الأسر الكريمة بين قومها ورحمة عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر. وقد زخر التاريخ الإسلامي بعد هذا بالسبايا اللائي تزوجهن أسيادهن من الخلفاء والأمراء والسادة والكبراء، وأنجبن الخلفاء والأمراء والقادة العظماء والعلماء، وتأمل في ذلك تاريخ خلفاء بني العباس[٣٩].

٨ ـ زينب بنت جحش:

هي ابنة عمة الرسول ﷺ أُمَيمَة. وقد زوجها الرسول ﷺ لمولاه زيد بن حارثة، الذي أعتقه وتبناه إلى أن أبطل الله عادة التبني. ونزل في قصة زواجها من زيد (رضي الله عنه) ثم الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه. فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم، إذا قضوا منهن وطرا، وكان أمر الله مفعولا﴾[٤٠][٤١].

فقد روى البخاري[٤٢] أن زيدا جاء يشكو زوجته، فجعل النبي ﷺ يقول: «اتق الله وأمسك عليك زوجك»، قالت عائشة: لو كان رسول

---

(٣٩) ومن أمثلة المراجع في هذا الجانب: زكريا كتابجي: الترك في مؤلفات الجاحظ.

(٤٠) الأحزاب: ٣٧.

(٤١) البخاري/ الفتح (١٨/١٣٩ ـ ١٤٠/ح ٤٧٨٧).

(٤٢) البخاري/ الفتح (٢٨/١٩١ ـ ١٩٢/ح ٧٤٢٠)، الألباني: صحيح الترمذي (٣/٩٢ ـ ٩٣ وصححه.

الله ﷺ كاتما شيئا لكتم هذه، فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ، تقول زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات.

لقد كان زواج الرسول ﷺ منها لهلال ذي القعدة من العام الخامس الهجري، وهي بنت خمس وثلاثين[٤٣] لحكمة، وهي إبطال عادة التبني كما هو واضح من آية سورة الأحزاب المذكورة.

وخلاصة ما ورد في تفسير هذه الآية أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه[٤٤]، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني، وليس أبلغ في إبطاله من تزوج امرأة الذي يدعي ابنا، ووقوع ذلك أمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم[٤٥].

هذا الذي ذكرناه من الصحيح يغنينا عن مناقشة الروايات الكثيرة الساقطة التي نسجت حول قصة زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش، لا سيما روايات الواقدي، وكانت مرتعا خصبا لأهل الأهواء في القديم والحديث، من زنادقة ومستشرقين ومن على شاكلتهم.

٩ ـ رَيحانة بنت زيد بن عمرو بن خُنَافة:

قيل: ومن أزواجه ريحانة بنت عمرو النضرية[٤٦]، وقيل: القرظية[٤٧]، سبيت يوم غزوة بني قريظة، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه فأعتقها وتزوجها[٤٨]، ثم طلقها تطليقة، ثم راجعها[٤٩].

---

(٤٣) ابن سعد (٨/ ١١٤).

(٤٤) عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: «ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ادعوهم لآبائهم، هو أقسط عند الله﴾». الأحزاب: ٥، انظر الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٩٢) وصححه.

(٤٥) ابن حجر: الفتح (١٨/ ١٤٠/ ك. التفسير/ ب. قوله ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ شرح حديث الباب، من تفسير السدي عند ابن أبي حاتم، وقتادة عند عبدالرزاق، والترمذي في سننه، وتفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٠ ـ ٤٢١).

(٤٦) و (٤٧) لأنها كانت من بني النضير ومتزوجة في قريظة. قاله الواقدي (٢/ ٥٢٠). وانظر تفصيله في الإصابة (٤/ ٣٠٩)، وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب (٤/ ٣١٠): «والأكثر أنها من بني قريظة».

(٤٨) قاله الواقدي في أحد قوليه (٢/ ٥٢١) من مرسل الزهري، وعلق عليه قائلا: «فهذا أثبت الحديثين عندنا»، وابن بكار: منتخب أزواج النبي ﷺ، ص ص ٥٥ ـ ٥٦، مرسلا من حديث أيوب بن عبدالرحمن بن صعصعة، وهو صدوق، وفيه ابن زبالة، وهو متروك في الحديث.

(٤٩) ابن سعد (٨/ ١٣٠) من رواية الواقدي.

وقالت طائفة: بل كانت أمته وكان يطؤها بملك اليمين، فهي معدودة عندهم في السراري[٥٠]، واختلفوا في تاريخ وفاتها، هل كان قبل الرسول ﷺ أم بعده؟ ولم يرجحوا قولا على آخر[٥١]، والذي نميل إليه أنها ماتت في حياة الرسول ﷺ لقوة أسانيد القائلين بهذا، وهو ما جزم به ابن عبدالبر[٥٢].

١٠ ـ أم حبيبة ـ رَمْلَة بنت أبي سفيان بن حرب:

هاجرت أم حبيبة مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي إلى الحبشة، ولما تنصر زوجها، فارقها.

وعندما علم الرسول ﷺ بارتداد زوجها وثباتها على الإسلام أرسل عمرو ابن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطبها له، فزوجها إياه بصفته وكيلا عن النبي ﷺ، فوكلت هي خالد بن سعيد بن العاص ابن عم أبيها. وبعث بها النجاشي إلى المدينة مع شُرَحْبيل بن حَسَنَة، وكان مهرها وجهازها من عند النجاشي[٥٣].

وكان ذلك سنة سبع، وكان لها بضع وثلاثون سنة. ولدت لابن جحش ابنته حبيبة، قيل بالحبشة وقيل بمكة[٥٤].

وحكمة هذا الزواج لا تخفى على أحد يعلم ثبات هذه السيدة على دينها عندما ارتد زوجها بالحبشة، وموقف والدها من الدعوة الإسلامية وقيادته لكل

---

(٥٠) قاله ابن إسحاق، من حديث أيوب بن عبدالرحمن بن صعصعة، المشار إليه ـ مرسلا ـ انظر: ابن هشام (٤/ ٣٣٩)، والواقدي (٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢١)، وابن سعد (٨/ ١٣١) من طريق الواقدي، وبقية رجاله ممن يحتج بهم، ورواية ابن اسحاق تقوي رواية ابن سعد، وقد اختار هذا ابن القيم في زاد المعاد (١/ ١٣).

(٥١) الواقدي (٢/ ٥٢١): أنها ماتت عند الرسول ﷺ، ورجاله ممن يحتج بهم ماعدا الواقدي، ابن سعد (٨/ ١٣٠ ـ ١٣١) روايتان من طريق الواقدي، وفي رواية لابن سعد (٨/ ١٣١) من طريق الواقدي أنها توفيت بعده.

(٥٢) ابن عبدالبر: الاستيعاب (٤/ ٣١٠). ويقال كانت وفاتها سنة عشر مرجعه من حجة الوداع ـ قاله ابن سعد (٨/ ١٣٠) من طريق الواقدي، وابن بكار: ؛ منتخب أزواج النبي ﷺ ص٥٦ بإسناد ضعيف جدا.

(٥٣) انظر في هذا: الفتح الرباني (٢٢/ ١٣٣)، وقال الساعاتي: «وسنده جيد وأخرجه أبوداود والنسائي»، وابن هشام (٤/ ٣٨٩) مختصرا وبإسناد حسن لان فيه زيادا البكائي وهو صدوق، ثبت في المغازي، ابن سعد (٨/ ٩٦ ـ ٩٩) من رواية الواقدي، وفيه من الزيادة على حديث أحمد وابن هشام ان الرسول ﷺ أرسل عَمْراً الضمري إلى النجاشي ليخطبها له.

(٥٤) ابن سعد (٨/ ٩٦ ـ ٩٩) من رواية الواقدي.

حروب قريش ضد المسلمين ماعدا غزوة بدر، لأنه كان صاحب القافلة التي جعلها الله سببا في تلك الغزوة. ففي زواجه منها مواساة لها في مصيبتها في زوجها وغربتها، وقطع الطريق أمام شماته الأعداء، وفيه تخفيف من غلواء عداوة قومها بني أمية للإسلام ونبي الإسلام، وقد حرص الرسول ﷺ على ذلك كما هو واضح من موقفه من أبي سفيان يوم فتح مكة وعند تقسيم غنائم حنين، وغيرها من المواقف، إلى أن هداهم الله إلى الإسلام، فأصبحوا قوة وعزة ونصرة للإسلام في مستقبل أيامه.

١١ ـ صفية بنت حيي بن أخطب النضيرية:

عندما افتتح المسلمون خيبر، سبيت النساء، منهن صفية، فاشتراها الرسول ﷺ من دحية، حيث وقعت في سهمه، فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها[٥٥]. ودخل عليها في طريق العودة إلى المدينة، وتطوع لحراسته في تلك الليلة أبوأيوب الأنصاري خوفا منه على الرسول ﷺ أن تغدر به[٥٦]، ولكن اتضح أنه لم يكن في قلبها يومذاك أي حقد على الرسول ﷺ، لأنها آمنت بالرسول ﷺ من أول وهلة، يوم اصطفاها له أصحابه يوم خيبر، أو يوم اشتراها من دحية. ومن أدلة ذلك أن الرسول ﷺ عندما أراد أن يدخل عليها وهم على بعد ستة أميال من خيبر، أبت عليه، وعندما وصل إلى الصَّهْبَاء، على بعد بريد من خيبر، وافقت، فسألها عن سبب الامتناع في المرة الأولى، فقالت: خشيت عليك من قرب اليهود، فزادها ذلك عنده محبة[٥٧]. وقال لها الرسول ﷺ: «لم يزل أبوك من أشد يهود لي عداوة حتى قتله الله»، فقالت: «يارسول الله، إن الله يقول في كتابه العزيز ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾»، فقال لها رسول الله ﷺ: «اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك»، فقالت: «يارسول الله، لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن

(٥٥) مسلم (٢/ ١٠٤٥ ـ ١٠٤٦/ح ١٣٦٥) وعند البخاري أنه اصطفاها لنفسه. انظر: الفتح (١٥/ ٥٩ ـ ٦٠/ح ٤٢١١).
(٥٦) ابن سعد (٨/ ١٢١) من رواية الواقدي بأسانيده.
(٥٧) ابن سعد (٨/ ١٢٣) من طريق الواقدي.

تدعوني حيث صرت إلى رحلك وما لي في اليهودية أرب ومالي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي». فأمسكها رسول الله ﷺ لنفسه.

كانت أمها إحدى نساء بني قينقاع، فتزوجها سَلَّام بن مِشْكَم النضيري، ثم فارقها فتزوجها كِنانة بن أبي الحقيق، فقتل يوم خيبر. ولم يسمع النبي ﷺ ذاكرا أباها بحرف مما تكره.

لقد كان في زواج الرسول ﷺ منها ذات الحكمة من زواجه من جويرية. فهي ابنة زعيم من زعماء اليهود، مات هو وزوجها وأخوها في صراعهم ضد الرسول ﷺ، فكان لابد من إكرامها لمكانها عند اليهود.

ودل هذا الزواج على أن تهمة العنصرية ضد اليهود لم تكن واردة في قاموس الرسول ﷺ السياسي والاجتماعي، وليفهم اليهود أن قضيتهم مع الرسول ﷺ والمسلمين ليست قضية عنصرية كما أشاعوا.

عاشت صفية (رضي الله عنها) في بيت النبوة معززة مكرمة. وكان الرسول ﷺ يلقنها الحجج عندما يقع بينها وبين بعض بقية نسائه ما يقع بين الضرائر. فقد أخرج الترمذي(٥٨) من طريق أنس، قال: «بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك؟» قالت: قالت لي حفصة إني ابنة يهودي، فقال النبي ﷺ: وإنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك»، ثم قال: «اتقي الله ياحفصة».

وهجر الرسول ﷺ زينب بنت جحش ثلاثة شهور لأنها عيرت صفية

---

(٥٨) الألباني: صحيح الترمذي (٣/ ٢٤٤ - ٤٤٥/ ك. المناقب/ ب. في فضل أزواج النبي ﷺ/ح ٤١٦٦)، وقال: «صحيح». وقوله: «ابنة نبي - يريد إسحاق (عليه السلام) - وعمك نبي» - يريد إسماعيل (عليه السلام). رواه أحمد: المسند (٣/ ١٦٣) بإسناد صحيح. وفي رواية عند الترمذي: السنن (٩/ ٣٩٨/ ك. في المناقب/ باب أزواج النبي ﷺ/ح ٣٨٩١) أن عائشة (رضي الله عنها) اشتركت مع حفصة في هذه المقولة، والرواية ضعيفة لضعف هاشم بن سعد الكوفي.
ورواه الترمذي: (٩/ ٣٩٨/ ك./ المناقب/ ب فضل أزواج النبي ﷺ/ح ٣٨٩١ وفي سنده هاشم ابن سعيد الكوفي، وهو ضعيف، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هاشم الكوفي وليس إسناده بذلك» كذا في جامع الأصول (٩/ ١٤٤).

باليهودية. ولما رفع الرسول ﷺ عنها الهجران أهدته جارية لها فرحا بهذا العفو وندما على تلك الزلة[٥٩]. وكان ذلك في حجة الوداع كما يفهم من سياق القصة في هذا الحديث الصحيح وفي غيره من الأحاديث.

١٢ ـ ميمونة بنت الحارث الهلالية:

تكلمنا عن قصة زواجها عند الحديث عن عمرة القضاء. وما يمكن إضافته هنا هو أن مما رغب الرسول ﷺ في الزواج منها ما عرفه عنها من الصلاح والتقوى، فقد قالت عائشة عنها «. . . . أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم»[٦٠]. وقال رسول الله ﷺ عنها وعن أخواتها: «الأخوات مؤمنات ميمونة وأم الفضل وأسماء»[٦١].

وكان عمه العباس حريصا على أن يقترن الرسول ﷺ بها، فقد قال له: «يارسول الله، تأيمت ميمونة بنت الحارث. . هل لك في أن تتزوجها؟»[٦٢] ولا شك أن العباس (رضي الله عنه) كان من أعرف الناس بها، لأنها أخت زوجه أم الفضل.

وامرأة هذا شأنها لجديرة بأن يضمها الرسول ﷺ إلى بيت النبوة مواساة لها في فقدها زوجها واعترافا منه بفضلها وتحبيبا لقومها في الإسلام.

١٣ ـ الســـراري:

لم يتسر رسول الله ﷺ بغير مارية القبطية[٦٣]، أم ولده إبراهيم، وجارية أخرى أصابها في بعض السبي[٦٤]، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش[٦٥]،

---

(٥٩) أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٤٤)، وقال الساعاتي: «لم أقف عليه لغير أحمد وسنده جيد». ورواه أحمد من طريق ثان، وإسناده حسن لأن فيه سميسة وهي مقبولة، ورواه ابن سعد (٨/ ١٢٦ ـ ١٢٧) بمثل هذا الطريق الثاني بإسناد جيد ورجاله ثقات كما قال الساعاتي.

(٦٠) ابن سعد (٨/ ١٣٩) وصحح ابن حجر إسناده في الإصابة (٤/ ٤١٣).

(٦١) ذكره ابن حجر في الإصابة (٤/ ٤١٢) وعزاه إلى ابن سعد، وصحح إسناده.

(٦٢) رواه ابن عبدالبر في الاستيعاب (٤/ ٤٠٧) من حديث شرحبيل بن سعد، مرسلا.

(٦٣) انظر خبرها في فصل رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والرؤساء ـ المقوقس.

(٦٤) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (٥/ ٣٤٤)، أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ١٤٨)، ابن القيم: زاد المعاد (١/ ١١٤) ولم يذكر مصادرهم.

(٦٥) ذكرنا ذلك في قصة صفية وتعيير زينب لها باليهودية، من حديث أحمد بإسناد جيد.

وريحانة بنت زيد التي اختلف في أمرها، والراجح أنه كان يطؤها بملك اليمين، وروي أن الرسول ﷺ قال عن مارية عندما ولدت له إبراهيم: «أعتقها ولدها»(٦٦).

ولو أراد الرسول ﷺ أن تكون له آلاف الجواري والسراري لما انتقص من حقه في مجتمع كان لا يرى بأسا من التعدد في الزوجات واتخاذ السراري متى ما تيسر له ذلك ماديا وجسديا، وما سمعنا أن اليهود والنصارى قد جعلوا من كثرة زوجات وسراري سليمان عليه السلام(٦٧) قضية كما فعلوا مع تعدد الزوجات عند الرسول ﷺ.. ولا شك أن الغرض الباطل هو المحرك لهذه القضية في زماننا هذا...

حكمة هذا التعدد

وخلاصة القول: إن أمهات المؤمنين اللائي توفي عنهن رسول الله ﷺ

---

(٦٦) نقله ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٣٤١) عن الدارقطني بإسناده إلى ابن عباس وقال ابن كثير: «رواه ابن ماجه (ك. ١٩/ ب ٢٠) من حديث حسين بن عبدالله.. بمثله. ورويناه من وجه اخر...». وقال البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٤٦) عن سند هذا الحديث «وفي الحديث أبوبكر بن أبي سبرة ضعيف لا يحتج به إلا أنه قد روى عن غيره عن حسين بن عبدالله بن عبيدالله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس بهذا اللفظ، وحسين ضعفه أكثر أصحاب الحديث..» كذا رواه أبوأويس مرسلا (وقيل) عن أبي أويس موصولا بذكر ابن عباس فيه... ورواه سعيد بن كليب وعبدالله بن سلمة بن أسلم عن حسين بن عبدالله، كما رواه بن أبي سبرة، ثم رواه البيهقي من حديث علي بن عمر الحافظ، من طريق زياد بن أيوب موصولا إلى ابن عباس وقال: «علي تفرد بحديث ابن أبي حسين زياد بن أيوب وزياد ثقة...» وقال ابن التركماني في الجوهر النقي بذيل السنن الكبرى للبيهقي (ص ٣٤٧): «وقد أخرج الحاكم في المستدرك الرواية المرفوعة وقال: صحيح الإسناد، ثم ذكر لها متابعة، وأخرجه ابن حبان من حديث أبي عاصم عن أبي بكر النهشلي عن حسين، والنهشلي أخرج له مسلم ووثقه جماعة. وقد جاء للحديث متابعة من وجه آخر بسند جيد. وقال ابن حزم: روينا من طريق قاسم بن أصبغ... ثم قال ابن حزم: هذا خبر جيد السند، كل رواته ثقات وقال في كتاب البيوع: صحيح السند...» وخلاصة القول إن الحديث يتقوى بالمتابعات.

وانظر الحكم الفقهي في أمهات الأولاد عند ابن قدامة: المغني (٩/ ٥٢٧ وما وبعدها) وعند البيهقي: السنن الكبرى (١٠/ ٣٤٢ - ٣٤٩)، كتاب: «عتق أمهات الأولاد».

(٦٧) وردت روايات عند البخاري ومسلم وأحمد أنه كان لسليمان (عليه السلام) عدة زوجات عددهن في بعض الروايات يصل إلى المائة، وأقل عدد ذكرته إحدى الروايات أنهن كن ستين. انظر في هذا - مثلا: البخاري/ الفتح (١٣/ ٢١٥/ ح ٣٤٢٤) وابن حجر: الفتح (١٣/ ٢١٧ - ٢١٨/ شرح الحديث ٣٤٢٤)، ومما قاله ابن حجر هنا: «وقد حكى وهب بن منبه في المبتدأ أنه كان لسليمان ألف وثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية، ونحوها مما أخرج في المستدرك من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب، قال: بلغنا إنه كان لسليمان ألف بيت من قوارير على الخشب منها ثلاثمائة صريحة وسبعمائة سرية» قلت: وروايتا ابن وهب وأبي معشر ضعيفتان.

كن معلمات ومفتيات لنساء الأمة الإسلامية ورجالها في القضايا النسائية والأحكام الشرعية والآداب الزوجية والحكم النبوية، وكن قدوة صالحة في الخير والبر والإحسان كما كان الرسول ﷺ المثل الأعلى في حسن الخلق وطيب العشرة مع نسائه. فقد عاشرهن بالمعروف، وعدل بينهن وعلمهن الأحكام الشرعية الخاصة بالنساء. وسياسة النبي ﷺ في تعدد الزوجات هي السياسة الرشيدة التي اقتضتها ظروف الدعوة الإسلامية في ذلك الوقت، ومن الصعب أن تقوم زوجة واحدة بمهام تبليغ تلك الأحكام إلى الناس»[٦٨].

ولم يكن هناك ما يغريهن بالبقاء في بيت الرسول ﷺ سوى هذه المهمة الجليلة، لأن الأخبار قد تواترت لتقطع بأن زوجات الرسول ﷺ كن يعشن في شظف من العيش إلى الحد الذي طالبنه فيه بزيادة النفقة عليهن، فخيرهن الرسول ﷺ بين الطلاق وبين قبول هذه المعيشة الصعبة معه[٦٩]، وذلك في قصة طويلة وثابتة بنص القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما[٧٠]﴾.

ويلحظ أن من بين زوجات الرسول ﷺ، الصغيرة التي ما تزال تلعب مع أترابها بلعب الأطفال، والمسنة، وابنة عدو لدود، وابنة صديق حميم، ومنهن من كانت تشغل نفسها بتربية الأيتام، ومنهن من تميزت على غيرها بكثرة الصيام والقيام... إنهن نماذج لأفراد الإنسانية، ومن خلالهن قدم رسول الله ﷺ للمسلمين تشريعا فريدا في كيفية التعامل السليم مع كل نموذج من هذه النماذج البشرية.

وعندما انتقل الرسول ﷺ إلى المدينة لم يكن أمر العداء قاصرا على

---

(٦٨) انظر الصواف: زوجات النبي ﷺ الطاهرات وحكمة تعددهن، ص ١٧.

(٦٩) انظر تفاسير الآية رقم ٢٨ من سورة الأحزاب والآثار الواردة في ذلك.
وانظر أحاديث: البخاري/ الفتح (١٨/ ١٣٦ - ١٣٩/ح ٤٧٨٥ وما بعده) ومسلم (٢/ ١١٠٣ - ١١١٣/ح ١٤٧٥ - ٢٤٧٩) وغيرهما.

(٧٠) الأحزاب: ٢٨.

قريش، بل تعداها إلى غيرها من قبائل العرب، فاقتضت الحكمة أن يجمد الرسول ﷺ بعض أطراف هذا العداء وذلك بالإصهار إلى قبائل شتى، لأن أعراف العرب كانت تقضي بأن يحمي أهل المرأة زوج امرأتهم كما تفيد ذلك لغتهم، اذ يسمون أنفسهم بالأحماء ـ من الحماية ـ.

ولما كانت هذه المصلحة يمكن أن تستغل استغلالاً سيئا، نظرا لأن الأمور الجنسية تتبعها النفوس اللاهثة، فقد جعل الله تعالى ذلك التعدد بتلك الكيفية خاصا برسول الله ﷺ، وحدد عدد الزوجات لغيره بأربع زوجات كحد أقصى[٧١].

(٧١) انظر الدكتور محمد رواس قلعة جي: قراءة جديدة للسيرة النبوية، ط ٢، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٨٤م، ص ص ٣٤ ـ ٣٥.